

الشهيد أحمد مصطفى الخلف

الكاتب :

التاريخ : 12 نوفمبر 2012 م

المشاهدات : 10288



حكاية الحرية لا ينسجها بطل واحد، بل كل بطل هو حكاية متكاملة تحاك من عزائم الكبار، ونفوس الأباة، تتزين بإرادة الأقوياء على إعلاء الحق وإزهاق الباطل، تتعنى بالانتصار..... هي حكاية سينطق لها الحجر، وتحكيها الشجر.. ولنحك معا حكاية شاب من مدينة الرستن الواقعة خلف ضفاف العاصي.

ولد في ١٤/٨/١٩٨٣

ينتمي إلى أسرة مكافحة تتكون من والده الفلاح البسيط وأمه التي أرضعته حب الأرض والعزة والكرامة وإخوته.

هو النجم (أحمد الخلف) وله من اسمه نصيب..

منذ طفولته وهو يحلم بأن يكون بطلاً من الأبطال ويشارك في تحرير الجولان... ويحلم بارتداء البدلة العسكرية التي ستزين كتفها بالنجوم....

عندما أصبح أحمد شاباً انتسب إلى الكلية الحربية وكانت علاقته وطيدة مع رفاقه ذوشعبية واسعة، تجمعهم ذكريات الجد والهزل والفرح والحزن والسباق والتنافس في تعلم الرماية....

كان يحلم أحمد بالشهادة على ثرى الجولان لذلك اجتهد وأتقن الرماية كي يثأر من العدو الاسرائيلي، واتقد حلمه واشتد نبضه عندما تعين في مرتبات القوات الخاصة....

وفي وقتها بدأت رياح الربيع العربي تهب من تونس، لا وسيلة تواصل فلا تلفزيونات ولا هواتف سوى الأخبار التي تشوه

الفكر والعقل والتي تتحدث عن مؤامرة كونية على سورية سلفية بالتعاون مع بندر والحريري...

كانوا مغيبين تماما، معزولين، فلم يسمعوها بفرار (علي) ولا بسقوط (مبارك) ولا بالثورة الليبية واليمنية....

لم تصل إليهم استغاثات إخوانهم في درعا وهم يصرخون الفزعة..

ولم يدروا باقتلاع أظافر الأطفال، إذ كانوا في حصار إعلامي خانق...

وفي ذات ليلة أته في نومه رؤيا عن الجنة والشهادة، أشرق صباحها على مهمة واضحة قالوا لهم: إن أهل درعا يريدون إقامة إمارة سلفية، وأن فيهم عصابات مسلحة.... أته الأوامر أن يبدي في درعا كل شيء.. عندما ذهب إلى درعا لم ير سوى أناسا سلمييين يحملون أغصان الزيتون، يتغنون بعبارات عن الحرية توقظ القلوب من غفلتها.... ولسان حالهم يقول يا حيف....

امتزجت نداءات الناس الذين يقولون:(لا تقتل نحن أهلك، أبناء وطنك، أهل ديارك، أنت أخي وأنا أخوك، أنا ابن بلدك)

امتزجت تلك الأصوات بصوت الحورية التي استيقظ على صوتها ذات صباح تدعوه إلى الجنة...

أعطى أحمد أوامره لجنوده بالامتناع عن ضرب النار، فهو يؤمن أن مهمته الأولى والأخيرة هي الدفاع عن أبناء وطنه وليس قتلهم...!!

علم حينها أن قراره سيكلفه البعد عن أولاده وزوجته وأبويه وإخوانه، لكن عواقب الأمر عنده أهون من أن يكتب عند الله قاتلا...

وفي ٧/حزيران ٢٠١١ كشف أمره فتعرض للمراقبة الشديدة ومن ثم للإقامة الجبرية لدى قائد الكتيبة، ثم علم أن هناك قرارا بتصفيته....

رائحة الجنة وسهرها يدنو إليه، فتجلى قرار الانشقاق أمامه كواجب عليه.. وعندما انسلخ عن هذه القذارة التي كبلته بقيودها وعزلته، كادت أن تجرده من إنسانيته - عندها ولد من جديد-

فرح أهالي الرستن به وحملوا والده على الأكتاف واستقبلوه بالزغاريد كعريس ليلة عرسه..

قد كان أحمد في سماء الحرية نجما وصقرا من صقورها، نادته الجنة قلبى النداء ونزع تلك النجوم الزائفة التي أثقلت كتفه وهرع راكضا ينصر الحق

هذا هو الملازم (أحمد الخلف) الذي أبغض الطغاة وعرف معالم الطريق..فهم الرواية، وسطر ببطلته كل الحكاية، فانشق والتحق بالجيش الحر، انضم إلى كتيبة خالد بن الوليد، كانت لديه خطة عمل مفصلة، أولى بنودها وأهمها هو امتلاكه قناصة يقنص بها كل أنثام لعين، باع ذهب زوجته بسبعين ألفا وكان ينقصه مثيلتها، طلب من تنسيقية الرستن في الخارج إمداده بالمال كي يحقق حلمه، انتظر في الأردن لمدة اسبوعين بعد انشاقه ولم تصل أية مساعدة إليه، فالتنسيقية بذلت جهدا كبيرا لكن كل الأبواب التي طرقها لم تجبها.....!!!

عاد إلى سوريا ودخل درعا، اشترى روسية وأذاق الشبيحة والأمن الويل فيها، درعا كلها تشهد له قبل الرستن .

انتقل إلى الرستن لمؤازرة إخوانه ومازال حلمه باقتناء القناصة يكبر داخله لأنه هدف ماهر.. وصرح لصديقه بذلك قبل استشهاده بيومين

كان لأحمد بصمة طبعت على قلوبنا، فعندما يطرق اسم (أحمد الخلف) مسامع الصغار قبل الكبار، ويتردد صده في ذاكرتنا الثورية لأبد لنا من أن نتذكر مقولته التي نقشت على صفحات قلوبنا (إذا دخلت الدبابات الرستن اعلموا أنني قد استشهدت)

تولى الدفاع عن المدخل الشرقي وظل يقاتل هو وبعض من عناصره لمدة يومين متتالين بسلاح فردي بسيط يصد جحافل الدبابات ويمنعها من التقدم، لكن في قلبه غصة لأن رصاص الموت سيأتيه ممن كانوا رفاق الأمس، وفي يوم ٢٠١١٩١٢٨

أنته رصاصه الغدر والحدق. نرف على أئرها حتى الموت؁ وهو اليوم الثاني لمحاصرة واقتحام الرستن من قبل كئائب الأأسء...

حقق أحمء حلمه في الشهاءة؁ وحقق حلمه في الأئرير؁ فقد كان يءافع عن الأرية... تلك الكلمة التي أعجزئهم...!!
حلم بالنجوم التي سئزين كئفه؁ فعبر مسرعاً نحو السماء ليكون نجما مئوهاجاً؁ وضاءً؁هاءياً..

ءفن الشهيد أحمء في فناء مدرسة الشريعة بءون وضع أي علامة ءءل على قبره؁ وقام أبطال كئيبه ءالء ابن الوليد بءفر قبر في المقبرة؁ ءفنوا كمية كبيرة من المئفجرات فيه؁ ووضعوا شاهءة على القبر مكتبوب عليها (قبر الشهيد أحمء الألف)...
عءما ءءلئ العصابة الأسيءة مءينة الرستن؁ زهبوا إلى المقبرة لينبشوا قبر الشهيد أحمء فانفجرت فيهم المئفجرات المءفونة وقلئ منهم ١٢ عنصر.

جن جنونهم واءقللوا والء الشهيد؁ أرغموه على إءراء جئءه ابنه...
يالقولهم الغببة ءءعهم اسمه فقلئهم...

يا لقلوبهم المعبولة بالءقء إنه جئءه هاءة....

افعلوا ماشئئم بها فلن ءأسروا روحه ولن ءؤئروا عليها... فهي في مكان بعيبء... بعيبء عن قءرائكم العقلية... ياويحكم...!!!
وبعء مايقارب الشهر من اسئشهاد (أحمء) ولء ابنه (عمر) في ءاريخ ٢٤/ءيسمبر/٢٠١١م فرء أهله به فرءا شءيءاً وبلسم جرحهم فهو سيءلف والءه ويملاً عليهم الأية..

وقالوا له: يا أهلا بك يا عمر هذا الزمان؁ ارفء رأسك عاليا فإن والءك هو الشهيد البطل أحمء الألف...
لم يعلموا أن هناك مكرأ يءاك لهم.

ففي ١٢/٧/٢٠١٢ قام النظام بمجزرة في بيبئ الشهيد أحمء الألف واسئشهدئ طفلهءه هءى واسئشهد شقيق زوجته عبء الرحمن الشيوخ الألف؁ أصيب قريبه أحمء الشيوخ الألف عمره ٤ أشهر وهو رضيع؁ وأيضاً أصيب حمزة محمد الشيوخ الألف... عائلة كاملة أصبءئ بين جريح وءبيء... أحمء أنت وعائلئك رمزا من رموز الأورة.. كم لك علينا يا أحمء...؟؟

وقيل في رءاء الشهيد:

عاء بعء الموت حيا *** نكره كان عليا

في جنان الأءلء يمشي *** هائئ النفس رضيا

كان في الءنيا شجاعا *** ءابئ الأءو أيبا

لم يكن يخشى كفورا *** أو ظلوما أو شقيا

لم يكن يرضى بءل *** منذ أن كان ءقيا

إنما يرضى بءل *** كل من كان عصيا

عاهء الرحمن يوما *** منذ أن كان صبيا

أن يعيش العمر ءوما *** طاهرا حرا نقيا

في حمى الرحمن يمضي *** عزمه كان ءئيا

عيشه كان جهاءا *** ثم حبا أءويا

في كءاب الله يءلو *** ءاشع القلب شجيا

مع شباب لم يراؤوا *** كلهم كان زكيا

كان يرجو أن ينال *** الأءلء ءلءا أبءيا

فلقد ضحى بروح *** للفدا كان حريا
ولقد أوفى بعهد *** إنه كان وفيا
إنه والله حقا *** كان شهما أريحيا

قصص شهداء الثورة السورية

المصادر: